مقدمة

تتلمذت على الدكتور حسين مؤنس دون أن يدرى..!

ونسج القدر خيوط علاقتى به..

وكانت البداية عن طريق أستاذ كبير هو الدكتور عبد العزيز كامل، وكان نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرا للأوقاف، وكنت صحفيًا فى الأهرام مسؤولاً عن متابعة نشاط الوزارة، وكان طبيعيًا أن تتكرر اللقاءات بيننا يوميًا، وتطورت العلاقة إلى أن أصبحت صداقة شخصية، وكانت أجمل لحظاتى حين يفرغ الدكتور عبد العزيز كامل من أعمال الوزارة، وأجلس معه فى هدوء أستمع إلى علمه الغزير.. وكنت أجد متعة فى الحوار مع عقلية كبيرة ومتميزة مثل عقلية هذا الرجل الذى لن أنساه أبداً.. وكان الحوار يمتد من الجغرافيا وكان أحد علمائها القلائل فى العالم العربى، إلى التاريخ القديم والحديث، وإلى قضايا الدين والمجتمع وتعلمت من الدكتور عبد العزيز كامل الكثير.. فقد كان يمثل بالنسبة لى نموذجًا للعالم المتواضع الذى جعله الإيمان أقرب إلى روح التصوف، مع اعتماده على العقل والمنطق فى تفسير القرآن والحديث، ومع دقته الشديدة فى التعبير وتحوطه فى إصدار الأحكام..

وكان الدكتور عبد العزيز كامل صديقًا للدكتور حسين مؤنس، ولذلك كان يتحدث عنه معى كثيرًا، ويشير إلى آرائه ومؤلفاته، ولمست كيف تقوم الصداقة بين العلماء وكبار المفكرين على الاحترام المتبادل، وعلى حوار فكرى عميق مستمر يكشف عمق المعرفة لديهما، والتعاون فى البحث عن الحقيقة فى ذاتها دون غرور، أو ادعاء، أو انشغال بمن منهما اكتشفها قبل الآخر، أو أى منهما كان على صواب، فالمهم أن يصل الجدل إلى غايته المنشودة وهى الوصول إلى الحقيقة والصواب.. ورأيت عن قرب كيف

يكون التعاون بين الكبار، وكلاهما كان زاهدًا، ومنقطعًا للعلم والفكر، ولا يريد من الدنيا ومن فيها شيئا يضطره إلى الخضوع أو التملق..

وأثارتنى أحاديث الدكتور عبد العزيز كامل عن الدكتور حسين مؤنس فأخذت أبحث عن كتبه وأقرأها وأناقش الدكتور عبد العزيز كامل فيما جاء فيها.. وفتحت لى هذه الكتب عالمًا رحبًا أطل منه على التاريخ والحضارة الإسلامية..

وحين التقيت بالدكتور حسين مؤنس بعد ذلك بسنوات كرئيس لمجلس إدارة دار المعارف التى تنشر مؤلفاته، ورئيسًا لتحرير مجلة أكتوبر التى ظل ينشر فيها مقالاً أسبوعيًا بانتظام لسنوات طويلة، وكانت دهشتنا نحن الاثنين أن أول لقاء بدا وكأنه استكمال للقاءات سابقة، فبدأنا فى مناقشة طالت عن بعض أفكاره وكتبه ومواقفه، وبعدها ظللت انتظر مقاله وأنا فى عجب من هذا المفكر الكبير الذي تجاوز السبعين والمشغول بأبحاثه ومؤلفاته ومؤتمراته وأسفاره فى مهام علمية، كيف يجد وقتا لكتابة مقاله بانتظام وعناية بالغة، وكيف يستطيع من كان مثله غارقًا فى الكتب والأسفار القديمة أن يظل بمثل هذه اليقظة الفكرية، والحساسية فى رصد الظواهر الاجتماعية بما يطرأ عليها من تغير..

وفى رأيى أن شخصية الدكتور حسين مؤنس كباحث وأستاذ تختلف عن شخصيته ككاتب مقال سياسى واجتماعى فى مجلة أكتوبر، فهو بالشخصية الأولى عالم، مدقق، منقطع الصلة بالحاضر تقريبًا، وهو بالشخصية الثانية مفكر وناقد وأديب غارق فى هموم المجتمع، ومعايش للناس العاديين فى الحارة والقرية والمدينة، يشعر بمشاعرهم، ويشاركهم همومهم وأحلامهم، ويرصد شكواهم وتطلعاتهم، ويجعل قلمه صوتًا للحق لا يحيد، ولا يجامل، ولا ينافق..

وفى مناخ الحرية الذى تحقق للصحافة المصرية، أطلق الدكتور حسين مؤنس لقلمه العنان، فلم يعد يحاذر، أو يكتفى بالإشارة والتلميح، فأصبح صريحا إلى درجة جارحة فى بعض الأحيان، وناقدًا إلى درجة الهجوم، وكاشفًا لما فى المجتمع من مشكلات وعيوب دون مواربة، ثم امتدت صراحته إلى الحديث عن نفسه وذكرياته، فقال كل شىء حتى عن خصوصياته وأسراره الشخصية، وأصبح بذلك نموذجًا للكاتب الذى لا يخشى شيئًا، ولا يتردد فى قول الكلمة والتعبير عن رأيه كما يراه دون اعتبار لصدى ما يقول وكان من حين لآخر يسألنى: هل أسبب لك حرجًا بهذه الصراحة، فأقول له: بل أننى سعيد بها.. فهذا هو وقت الكلمة الصريحة.. ولعنة الله على من يكتم كلمة الحق..

ورحل الدكتور حسين مؤنس وقد ترك ثروة لم يحتمل ضميرى إهمالها أو تجاهلها، وتوافق تفكيرى فى جمعها مع رغبة ابنته البارة الدكتورة منى حسين مؤنس أستاذ الأدب الإنجليزى بآداب القاهرة، وفيها من صفاته الكثير.. صفات المقاتل العنيد.. والمحارب من أجل ما يعتقد.. والزهد فى الأضواء والشهرة.. وفى دأب وإخلاص شديدين قامت بجمع هذه المقالات فى سلسلة كتب أقدمها للقارئ العربى فخورًا بأن تكون ضمن إصدارات دار المعارف التى ارتبط بها وجدان أستاذنا منذ أكثر من نصف قرن حتى أصبحت بيته وله فيها تلاميذ ومريدون يعرفون قدره، ويحملون رسالته، ويحرصون على إحياء ذكراه.

ولا أعرف كيف ساقنى القدر إلى يوم أرد فيه لأستاذى فيه بعض الدين الذى على، وأعبر به عن عرفانى بالجميل والتقدير لذكرى رجل من رجال مصر العظام..

وأترك للقارئ الكريم أن يستمتع بما فى هذا الكتاب من تجليات الفكر العميق، والتفكير الناضج، والروح الشابة لرجل عاش حياته بالطول

والعرض كما يقول، وسافر إلى أركان الدنيا، وتعرف على ألوان مختلفة من الثقافات والبشر.. وتولى أعلى المناصب العلمية.. وحصل على أرفع الأوسمة من مصر وغيرها، ومع ذلك ظل فى داخله مصريًا حميمًا، و «ابن بلد» لا يتردد فى ذكر النكتة، و «القفشة».. ويتبسط مع قارئه وكأنهما صديقان فى جلسة صافية مسترخية.. ولذلك جاءت هذه المقالات أقرب إلى «أحاديث الأصدقاء».. وجاء الأسلوب فيها متميزا وفريدا، سهلا وعميقا فى نفس الوقت. يختلف كل الاختلاف عن أسلوب الدكتور حسين مؤنس فى مؤلفاته العلمية..

وأرجو أن تكون هذه السلسلة من الكتب التى تصدر بعد رحيله وردة على قبره.. وتحية لذكراه

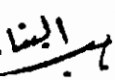

obeikandl.com